جامعة المنصورة
كلية التربية

آلية توظيف الشخصيات في الرواية التاريخية بين الاستدعاء و التناص
رواية "ما ذكره رواة الأخبار " لمحمد جبريل نموذجاً

إعداد
د. /منار عز الدين محمد شعيب
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية اللغات والعلوم الإنسانية- جامعة القصيم
مقر الجامعة في محافظة البكيرية طالبات

مجلة كلية التربية – جامعة المنصورة
العدد ١٢٦ – إبريل ٢٠٢٤

آلية توظيف الشخصيات في الرواية التاريخية بين الاستدعاء و التناص
رواية "ما ذكره رواة الأخبار" لمحمد جبريل نموذجًا

د. / منار عز الدين محمد شعيب
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية اللغات والعلوم الإنسانية - جامعة القصيم
مقر الجامعة في محافظة البكيرية طالبات

الملخص

استَطاعَت الرواية في الأدب الحديث تَقديم رؤية فنية شَديدة الخُصوصية للتاريخ وشَخصياته، ساهَمَت في إعادة قراءته وتَشكيل دلالات ورؤى جديدة مِن خِلال استِلهام الأحداث و الأماكن و الشَخصيات، فَقَد كان التراث دائماً مَلجأ للأديب العربي يَرتَدّ إليه مُستَلهماً للتعبير عن أغراضه وأفكاره، فَقَد كانت الشَخصيات التاريخية واستِحضارها في النصوص الحديثة ظاهِرة شَكَلت كتابات الكثير مِن الأدباء العرب، مُعتَمَدين على التناص مع التراث، حتى أصبح مِن أهم الملامح البارزة للبناء السَردي في الرواية الحديثة، ومِن هُنا سَعى هذا البحث الموسوم " آلية توظيف الشخصيات في الرواية التاريخية بين الاستدعاء و التناص، رواية "ما ذكره رواة الأخبار " لمحمد جبريل نموذجًا، إلى الكشف عن آلية الاستِلهام وكيفية تَوظيفه في الرواية و الدور الذي مَثّله الاستِدعاء داخل بنية النص، وقَد خَرَج البحث في مُقدمة ومُبحثين، مشفوع خاتِمة يَتبَعها قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث، حيث اشتَمَلت المُقدمة على عرض لموضوع البحث وأهميته والأسئلة المطروحة وتَقسيمات البحث، وأهم الدراسات السابقة حول الموضوع، ومِن ثَم جاء المُبحث الأول بعنوان " آلية استِدعاء الشَخصية التاريخية في الفن الروائي" وقَد تَناولت فيه مَفهوم الاستِدعاء وموقف الأدباء مِنه، وعَرَجت على دوافعه، أما المُبحث الثاني فقد جاء بعنوان " توظيف الشَخصيات التاريخية في رواية ما ذكره رواة الأخبار " وفيه تَناولت تقنية الاستِدعاء و تَوظيف شَخصياتها داخل النص، وأخيرا الخاتِمة التي تَضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية : *الرواية التاريخية – الشّخصيات التاريخية – تَوظيف - محمد جبريل- ما ذَكَرَه رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله*

مقدمة

بسْمِ الله، وَالْحَمْدُ لِله الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ الْأَكْرَمِ، مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَبَعْد.

فإن استلهام التراث بكل أشكاله و استنطاقِهِ من أهم القضايا التي اهتمَ بها النقَّاد في العَصْر الحديث حيث بدت تلك الظاهرة بقوة في أعمال الأدباء شعرًا ونثرًا لتؤكد العلاقة الوطِيدة بين التراث والأدب، ومن أهم التقنيات التي لجأ إليها الأدِباء فِي استِلهام التراث تقنِية استِدعاء الشخصيات التاريخية وتوظيف هذا الاستِدعَاء فِي النص إما بطريقة التوثيق و النَقل و التسجيل فقط، لاستعراض و قراءة تلك الشخصيات دون أن يلبسها أية دلالات غير مباشرة أو أن يتخذ الكاتب من هذه الشخصيات بابًا للدَلالة على قَضيَّةٍ مَا، مُوظفًا إياها بشكْلٍ يتفق مع رؤيته المعاصرة حاملة تجربته و أفكاره.

فقد أحس الكاتب العربي بمدى ثراء التراث و مدى ارتباطه بوجدان تلك الأمة، و قد كانت الرواية واحدة من أهم الأشكال الأدبية التي اعتمدت مُنذ نشأتها على التُراث بكل أشكاله لَا سيما التراث التَاريخي بأحداثه و شخصياته، فَقد احتلت الشخصيات التاريخية باختلاف عصورها و

انتماءاتها حيزًا من الفن الروائي خاصة عند الرواد فراحوا ينهلون من هذا المنبع، فوجدنا شخصيات التاريخ تحتل عناوين الكثير من الروايات وكذلك الأحداث التَّاريخية المهمة التي اتخذ منها الروائيون مسرحا للحدث الروائي لأعمالهم، فقلما نجد عملًا رَوائيا يخلو من هذا الإستدعاء الذي يربط الماضي بالحَاضر.

ومن ثم حاول هذا البحث الوقوف على ظاهرة استدعاء الشخصية التاريخية ومدى تفاعل الأدباء في توظيفها في رواياتهم، والأثر الذي يضيفه الاستدعاء في العمل الأدبي على مستوى السرد.

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث انطلاقا من رواية استدعت التراث التاريخي من خلال شخصية الحاكم بأمر الله الحاكم الفاطمي السادس، الذي يمثل مرحلة مهمة من تاريخنا العربي، بوصفه رمزا تراثيا ثريا قد حظي بحظ وافر من الاستدعاء والتوظيف في الفنون الأدبية المختلفة لاسيما الرواية والقصة والمسرحية والسيرة، ولعل المرحلة التي تولى فيها حكم مصر كانت الأكثر تميزا، لما في شخصيته من غرابة، فقد كان غريب الأطوار متقلبًا حتى جاءت أخبار المؤرخين متباينة حوله وحول أخباره، التي جاءت الرواية لتوثق بعضها على يد محمد جبريل الذي اختار لروايته عنوانا مباشرا يرصد دلالة الفكرة فالرواية هي " ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله " التي اتخذ محمد جبريل من خلالها النسق التاريخي آلية للسرد، وربما تعمد محمد جبريل الربط بين زمنين عاشتهما مصر فاستدعى الحاكم بأمر الله من التاريخ - تلك الشخصية الثرية - لكي يعبر عن تلك المقارنة التي أراد استحضارها، وقد اعتمد في السرد الروائي بالدرجة الأولى على ما نقله الرواة من أحداث تلك الحقبة من تاريخ مصر في الدولة الفاطمية، ونجد في هذا الوصف الذي اعتمد على الأخبار، غلبة للتاريخ على السرد الروائي وهذا سبب اختيار البحث لهذا النص الروائي دون غيره، للبحث عن آلية توظيف هذا الاستدعاء والدور الذي لعبه في بنية السرد، ومن هنا سعى البحث للإجابة على أسئلة عدة

- لماذا اعتمد الأدباء تقنية استدعاء الشخصيات التراثية؟
- ما هي دواعي استدعاء محمد جبريل لشخصيات النص؟
- كيف وظفت الشخصية التراثية في الرواية؟
- ما آلية السرد الروائي التي اعتمدها النص؟
- كيف أسهم الاستلهام في نقل رسالة الكاتب إلى المتلقي؟

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث في وقوفه عند تقنية استدعاء الشخصيات التاريخية وتوظيفها بطريقة خاصة داخل رواية " ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله " وبيان مدى وعي الكاتب بكيفية التعبير عن رؤيته من خلال هذا الاستدعاء وتوظيفه، وكذلك الكشف عن طرائق استلهام النص التاريخي داخل الرواية، التي لم يتطرق إليها باحث من قبل رغم اهتمام النقاد بمحمد جبريل وطرائق توظيفه للتراث داخل أعماله الأدبية.

أهداف البحث:

الكشف عن آلية توظيف الشخصية التراثية عند محمد جبريل من خلال الرواية، وبيان أسباب استدعاء الشخصيات التاريخية في الروايات العربية بوجه عام والتقنيات المختلفة التي اتبعها روائيو الوطن العربي في ذلك.

منهج البحث:

يتبع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي مع الإفادة من المناهج الأخرى لا سيما المنهج التاريخي والنفسي.

الدراسات السابقة:

- الرواية التاريخية في أدبنا الحديث – دراسة تطبيقية – محمد القاعود- العلم والإيمان للنشر والتوزيع – كفر الشيخ – مصر – ط١- ٢٠٠٨
- أفرد القاعود فصلا تحت عنوان محمد جبريل البحث عن الحلم الضائع، تناول فيه الروايات التاريخية لمحمد جبريل بوصفه واحدا من أصحاب الموجة الثالثة – على حد تصنيفه – لجيل الستينات، تحدث بداية عن رواية آخر الزمان من حيث اعتماد جبريل على استلهام التاريخ بشكل الفانتازيا ومدى تأثير ذلك على أسلوب كتاباته، ومن أهمية المكان وتوظيفه في رواياته التاريخية ينتقل إلى رواية " من أوراق المتنبي " وكيف كان المكان – مصر – هو السبب في الاستدعاء، وكذلك تحدث عن منهج كتابته للرواية ودلالة هذا المنهج ولم يتحدث عن رواية ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله.
- بحث منشور بعنوان "استلهام التراث في روايات محمد جبريل" - سعيد الطواب - مجلة الدراسات العربية - جامعة المنيا - كلية دار العلوم – ع ٤-١٩٩٩

في هذا البحث عمد الطواب إلى روايات محمد جبريل بالتحليل حول طرائق استلهام التراث في كل رواية ورصد الاستلهام بكل أنواعه، لكنه لم يتناول رواية ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ضمن عينة دراسته.

ورغم تلك الجهود العظيمة التي سعى أصحابها لتوثيق أثر محمد جبريل في الرواية التاريخية وتطور شكلها الفني إلا أن تقنية استدعاء الشخصية التراثية وآلية توظيفها، لم يلق من الاهتمام ما يفرد له بحثا خاصا وهذا ما سعى إليه هذا البحث الذي اتخذ من تلك التقنية ورواية ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله موضوعا له.

- استلهام الشخصيات التراثية في الإبداع الروائي والمسرحي الحديث " الحاكم بأمر الله نموذجًا " (رسالة ماجيستير) للباحثة/ نورهان محمد أحمد عبد القادر- إشراف د/ محمد زكريا عناني
- في هذا البحث حاولت الباحثة رصد ملامح شخصية الحاكم بأمر الله من خلال اختيار عينة للدراسة من النصوص المسرحية والروائية وكان ضمن هذه العينة رواية ما ذكره رواة الأخبار لمحمد جبريل، في محاولة لاستنباط معالم الواقعية السحرية عند جبريل من خلال استعراض شخصية الحاكم داخل النص، مع التركيز على فكرة توظيف النص التاريخي دون التطرق لتوظيف الشخصيات نفسها وانعكاس ذلك على شخصية الحاكم نفسه وهذا ما يسعى إليه هذا البحث.

المبحث الأول: **"**آلية استدعاء الشخصية التاريخية في الفن الروائي"

حظيت الشخصية باهتمام كبير من قبل كثير من أدباء ونقاد القرن التاسع عشر حيث كانت تلعب الدور الأكبر في أي عمل روائي يكتبه الكاتب، فكأن الشخصية في الرواية كانت هي كل شيء فيها، بحيث لا يمكن أن نتصور رواية دون طغيان شخصية مثيرة يقحمها الروائي فيها"[١]

[١] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، مجلة عالم المعرفة، ديسمبر ١٩٩٨، ص ٢٧

فقد أدرك الأدباء منذ البدايات أهمية الموروث فعملوا على إحيائه وتأويله في نصوصهم، منفتحين على موروثاتهم بأشكالها المختلفة التاريخية والدينية والشعبية، وقد كان للشخصية التاريخية النصيب الأوفر من استلهامهم للتاريخ حيث يزخر تاريخنا بالكثير من الشخصيات التي رأى فيها الأديب العربي نموذجًا يستطيع من خلاله طرح أفكاره ونقد واقعه، فيستدعون تجارب هذه الشخصيات، مطوعين إياها في أعمالهم، ولم يكن هذا الاستدعاء سهلا على الأديب لا سيما أنهم اعتمدوا على تقنيات تؤكد وعيهم لمفهوم الاستدعاء وأهمية توظيفه لربط الماضي بالحاضر ومدى أهمية هذا الربط حيث "إن أهمية التوظيف الدلالي للتراث التاريخي لا تكمن فقط في وعي الكاتب بالتاريخ ولكن يكمن بالأساس في وعيه أيضا بالواقع المعيش، لأن ما يهم الكاتب في توظيفه للشخصية التاريخية أو للموقف التاريخي ليس الشخصية ولا التاريخ الصحيح، ولكن دلالة الشخصية أو الموقف"[١]

ومن ثم فإن هذا الوعي بدلالة الشخصية نفسها وربط تجربتها الذاتية بتجربة الأديب نفسه جعله يلجأ "إلى استخدام الشخصيات التراثية كمعادل موضوعي لتجربته الذاتية حيث كان يتخذها قناعا يبث من خلاله خواطره وأفكاره[٢]"

ومن هنا سيطر التاريخ بشخصياته على الفن الروائي في العصر الحديث حتى رأينا الكاتب يقوم بأدوار عدة في السرد أبرزها كان دور الراوي الذي جعل من الكاتب معلقا على أحداث رأيناها في كتب التاريخ "فقد أضحى التاريخ نوعا من الرواية فالمؤرخ راو بشكل أو بآخر[٣] "

فقد استحضر الروائي المعاصر هذه الشخصيات معتمدا على سيرتها التاريخية التي جعلته يخلق منها شخصيات روايته" فلا تستدعى الشخصيات من التراث بكيفية واحدة، فبعضها يستدعى بسماته التراثية الحقيقية، التي عرف بها في التراث وبعضها يستدعى-خافيا-سماته التراثية الحقيقية تحت قناع جامد من ملامح المعاصرة" [٤]

وعليه فقد تفنن الروائيون المعاصرون في نقل شخصيات التاريخ إلى الحاضر سعيًا منهم لتوظيفها داخل المتن الروائي لاستحضار أحداث الماضي التي علقت في أذهاننا، لتقديم وجهات نظر جديدة بطريقة أدبية تسمح لهم بطرح أفكارهم دون قيود، حيث يستعين الروائي من خلال العودة إلى الماضي، باستحضار تلك الشخصيات التراثية، فيغير ويعدل، ويعيد صياغة ما قرأه ليلائمه مع ما يريد طرحه وتشكيله في السرد فينتج نصًا جديدا، ويخلق أحداثًا وأحوالًا جديدة للشخصية، بحيث تكتسب دلالات رمزية جديدة، وقد يعتمد النقل والتوثيق لما قرأه في أخبار وأحداث التاريخ دون تغيير أو استبدال، متكئًا على طرائق السرد المختلفة التي من أبرزها طريقة الراوي السارد والمعلق على الأحداث الذي يتخفى الروائي خلفه طارحًا وجهات نظره وآرائه المختلفة حول ما يسر من مواقف وأحداث فتتشكل معالم النص الفنية.

---

[١] حسين ميرزائي نيا، وآخرون ١٤٣٦ ه - "توظيف التاريخ في مسرحية تيمور لنك لعبد الفتاح قلعجي". مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد ٤ ، ١٤٣٦ ص ٦٧٢

[٢] علي عشري زايد- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر -القاهرة١٩٩٧: دار الفكر العربي. ص ١٦

[٣] قاسم عبده قاسم: بين الأدب والتاريخ، دار عين للدراسة والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دب، ط١ - ١٤٢٨ه/ ٢٠٠٧ م.

[٤] سعيد شوقي محمد سليمان، توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ، إتراك للنشر والتوزيع، مصر٢٠٠٠،ط ١، ص ١١٤

وعليه "فإن توظيف التاريخ وسيلة مثلى لفهم الواقع من خلال الماضي أو نقده من ناحية ومن ناحية أخرى أسلوب جديد لبناء الرواية"[١]

فالأديب العربي ذو التاريخ الثري لم يكن ليمر على تاريخه مرورًا عابرا دون أن يسجل رأيه في تلك الشخصيات التي خلدت ذكرها إما سلبًا أو إيجابًا، فنجد هذا الذكر يتجدد في أكثر من مكان وزمان وفي أكثر من نوع أدبي، فحضورها في مجتمعاتنا لم ينته بوفاتها أو انتهاء الحدث الذي خلدها، بل نستعيد استحضارها لمراجعة التاريخ وقراءة تفاصيله.

فما سعى إليه الأدباء سواء في الرواية التاريخية أو الروايات التي بنيت على شخصية تاريخية محددة أدبية كانت أو دينية أو سياسية كان دافعه الأول بناء وطرح أفكار جديدة من خلال أحداث نعلم إطارها الزمني والمكاني من خلال كتب التاريخ تعبر عنها شخصيات حية تحركها الأحداث التي أراد الكاتب إبرازها، "فالرواية ابتداء تقوم على بنية زمنية تاريخية تشخص في فضاء تاريخي يمتد من الماضي حتى اللحظة الراهنة أو القادمة تضيئه أحداث تحييها شخصيات فنية حية كاملة"[٢]

أما عن الدوافع الأخرى للجوء الروائيون إلى شخصيات التاريخ واستدعائهم إياها بطرق وتقنيات مختلفة فقد كانت هناك مبررات فنية مختلفة لهذا الاستدعاء مثل " استغلال ما تملكه هذه الشخصية من قدرات إيحائية قوية ناجمة عما ارتبط بها من دلالات في وجدان المتلقي ووعيه حيث يكون استدعاء الشخصية التراثية مثيرا لتلك الدلالات وباعثا لها، فإذا كانت الشخصية ليس لها في وجدان المتلقي أية دلالات من الأساس فإنه ينتفي المبرر الأول لاستدعائها"[٣] إذن يعتمد عنصر الاستدعاء على أهمية الشخصية المستدعاة لاستغلال ارتباطها الوجداني بالمتلقي وهذا الارتباط هو الذي يتيح للكاتب طرح أفكاره وهو على يقين بأن المتلقي سيستقبلها ويتفاعل معها، وإن كانت حرية الكاتب نفسه في هذا الاستدعاء تظل مقيدة نسبيا فكون "الشخصية التاريخية جزءاً لا يتجزأ من المادة التاريخية، فإنها تقلل من حرية الفنان الروائي، إذ لابد لهذه الشخصية من أن تحتفظ بالقدر المميز لها بوصفها شخصية عاشت في حقبة زمنية معينة، وذلك حتى لا يكون ثمة تصادم وتنافر بين الشخصيتين، التاريخية عموماً، والروائية المأخوذة عنها[٤]"

وربما كان هذا السبب الرئيس في التناقض الواضح بين التوثيق والرصد التاريخي والخيال السردي في كثير من الأعمال الأدبية حتى لنجد "من الروائيين من يكسر القفل التاريخي المؤدي إلى الشخصيات التاريخية الحقيقية، فيغفل دورها (فلا يعطيها مجالاً حراً للتحرك ويتجاهل كثيراً من تصرفاتها) بإذن مسبق من التاريخ نفسه شرط ألا يغير من حقائقه التي أثبتها، فيدخل الروائي إلى الشق المفترض والمتخيل لهذه الشخصيات عندما يحاول كشف سرائرها آنذاك" [٥]

ولم يكن هذا الدور الذي لعبه فن الرواية سهلا على الأدباء، حيث إن الصلة بين النصوص السردية والتاريخ لا يعتمد فقط على جودة السرد، لكن هناك أحكام أخرى تفرض نفسها نقديًا على الروايات التي اتخذت مادتها من التاريخ وعناصره، غير أن الربط بين زمنين تاريخيين مختلفين يحتاج وعي لمدى هذه الصلة بين الزمنين وبالتالي فإن "تصوير التاريخ أمر مستحيل على المرء ما

---

[١] فتحي بوخالفة: شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة، عالم الكتب الحديث، إربد -الأردن، د ط، ٢٠١٠ م،ص ١

[٢] محمود أمين العالم :الرواية بين زمنيتا وزمانها فصول ، ع ـ ١٢ .مجلد ١٩٩٣ ، ص ١٣

[٣] علي عشري زايد، استدعاء الشخصية في الشعر العربي المعاصر- مرجع سابق، ص ٢٧

[٤] فورستر، أ-أركان الرواية، تر: موسى عاصي، طرابلس، جروس برس -ط ١ - ص٦١

[٥] الدكتور نضال الشمالي الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية عالم الكتب الحديث إربد- الأردن٢٠٠٦ ص ١٣٥

لم يحدد صلته بالحاضر، إلا أن هذه العلاقة التاريخية، في حالة وجود فنّ تاريخي عظيم حقاً، لا تكمن في الإلمام إلى الوقائع الراهنة بل في جعلنا نعيش التاريخ مجدداً باعتباره ما قبل التاريخ الحاضر، وفي إضفاء شعرية على القوى التاريخية والاجتماعية والإنسانية التي جعلت من خلال مسار طويل حياتنا الراهنة على ما هي عليه[١]"

لذا لا ترصد الرواية في اعتمادها على التراث أحداثًا لتعيد إنتاجهًا نصيًا أو أدبيًا فقط بل نجد خلف كل رواية تاريخية مقصدًا عمد الكاتب إلى كشفه خلف شخصياته، وهذا ما نلحظه في رواياتنا العربية التي اتخذت مادتها من التراث التاريخي، فتعتمد على آلية واضحة الدلالة للتوظيف فالرواية العربية "وهي تعيد استثمار التاريخ في إنتاجها للدلالة الروائية، تقدم توظيفات مختلفة في الفهم والقصد، لأنها تختار كيفية محددة في القول والتركيب وإنتاج التخييل، ولأنها تعبر أيضاً عن الحاجة إلى الرواية، والحاجة لأن تكون تاريخية كذلك"[٢]

ولأن الإنسان كما يقول فيصل دراج باحث عن أصوله" [٣]فكان في البداية يفر إلى تاريخه باحثًا عن البطولة والفروسية التي رصدها التاريخ لشخصيات دافعت عن تاريخ هذه الأمة وأرضها، فكانت الملاذ الذي يعطيه الأمل في لحظات الضعف لا سيما أوقات الاستعمار والقمع ومن ثم "حظيت الشخصية التاريخية باهتمام الكتاب، لأنهم كتبوا عن مراحل تميزت بسيطرة المستعمر على بلادهم فعادوا إلى الماضي مستلهمين بطولاته ومذكرين بالأبطال الذين ضحوا لأجل هذه البلاد وتركوا أثرا في حياتنا "[٤]

وهنا تكمن قدرة الروائي على توظيف التاريخ بشكل يضمن استيعاب المتلقي وتقبله للصورة الجديدة التي كشف بها الروائي الحدث التاريخي أو الأوجه المختلفة للشخصيات التي يحركها الحدث ومن هنا يمثل استدعاء التاريخ في الكتابة الروائية رصيدًا مرجعيًا يجذر للهوية العربية أمام تحديات الحاضر، ليعبر الكاتب بذلك عن موقفه من المجتمع بإنشاء نص متميز يعتمد على حبكة تبرز الحدث فإن" الحدث يظل منيعا وصعبا على مستوى الكتابة التاريخية، وعلى مستوى التاريخ الحقيقي، وكذلك بالنسبة للتصور الفردي تتقاطع داخل الحاضر المعيشي ذاكرة الماضي، واستشرافات المستقبل أيضا، وداخل حدثانية الحاضر، يندمج فضاء التجربة حسب تعبير روبير كوسليك أي الماضي المتصل والمندمج مع تجربة الحاضر مع أفق الانتظار بمعنى همّ المستقبل الذي يعطي اتجاهية للحاضر نفسه"[٥]

إن الرواية إذ "تتناول التاريخ من وجهة نظر معينة إنما تلغي عادة هويته الوقائعية-الزمانية، لأنها حين تستوعبه بأي شكل كان فهي تتخذه أداة أو قالبا قد يقترب من أن يكون نعشا وسط خطاب جمالي[٦] " يحاول الكاتب أن يبنيه وفق معطيات كتب التاريخ فيلجأ الكتاب في بعض الأحيان الأحيان إلى الشخصيات التاريخية رغبة منهم في إعادة إحيائها أو إحياء التاريخ المجيد هاته الشخصيات، أو إعادة كتابة التاريخ بلغة شيقة بعد ما كانت لغة جافة ومتشنجة، ومع ذلك فإنه لا يستطيع التصرف في هذه الشخصيات فالروائي مقيدٌ وليس حرًا عكس تصرفه مع الشخصيات

---

[١] جورج لوكاش -الرواية التاريخية، تر: صالح جواد كاظم، بيروت،١٩٧٨ دار الطلعية. ص ١١٤

[٢] عبد الفتاح الحجمري: هل لدينا رواية تاريخية؟ فصول١٩٩٧، مج ٣٤ /١٦ ص ٦٣

[٣] فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ ، ص٥

[٤] حسن علي المخلف، التراث والسرد، وزارة الثقافة والفنون والتراث،الدوحة٢٠٠٢ -قطر،ط ١، ص ١٩٨

[٥] خالد طحطاح، الكتابة التاريخية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب٢٠١٢ ، ط ٢ – ص ١٣٢.

[٦] " نجم عبد الله كاظم: مقالات (في النقد والأدب والظاهرة الأدبية)، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط١ ١٤٣١ ه/ ٢٠١٠ م، ص ٨٧

الروائية المتخلية "فالشخصيات التاريخية (الحقيقة)التي يفرض فيها الروائي الراغب بالانطلاق شروط معينة أثبتها التاريخ، فلا يستطيع الروائي أن يقف أمامها إلا مطيعًا، فأي مخالفة بحق الشخصيات التاريخية تفقد العمل مصداقيته على مستوى الحكاية"[١] فمهما كان الغرض من السرد التاريخي فمن المؤكد أن "الكتابة التاريخية لا تكون عن أحداث، بل من أجل تحقيق رؤية أيدلوجية، موجهة إلى جماعة اجتماعية بعينها" [٢]

فلابد أن نجد الاختلاف واضحًا أثناء فعل التلقي بين النص التاريخي والنص الروائي لاختلاف المنهج " فالمؤرخ يعتمد المنهج التجريبي المستند على الاستقراء، والرواية التاريخية تستند إلى الاستنباط والافتراض، من ثم تدمج داخل عالمها عوالم صغرى ممكنة تقوم بوظيفة التوجيه الدلالي، الذي يميزها عن النص التاريخي المشخص لنفس الحقبة " [٣]

المبحث الثاني "توظيف الشَخصيات التاريخية في رواية ما ذكره رواة الأخبار "

"التاريخ عنصر حيوي في العمل الروائي منذ نشأة الملاحم وحتى يومنا هذا، يتراءى كزمان يحدد أحد أبعاد الشكل الفني أو مضموناً يعكس فلسفة معينة، أو موضوعاً بأحداثه أو شخصياته "[٤] المتابع لأعمال محمد جبريل التاريخية سيرى الثراء التاريخي للاستلهام الذي اعتمده مادة لرواياته والذي اختلفت طرق وتقنيات استلهامه حسب الهدف الذي بني النص لأجله، وها نحن أمام روايته "ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله" والتي اختار الدولة الفاطمية في مصر مكانًا للحدث أما الزمن فكذلك محدد بفترة حكم الحاكم بأمر الله.

ورغم أن الرواية قد اتخذت منذ العنوان طريقها في استدعاء الشخصية التاريخية المتمثلة في "الحاكم بأمر الله" إلا أنها مليئة بأسماء شخصيات تمثل تلك الفترة الزمنية في كشفٍ عن السمات النفسية التي ميزتها في الواقع وفي الحدث نفسه داخل السرد، حتى أنه جعل لكل شخصياته دورًا يؤكده ما ذكره رواة الأخبار، فقد اعتمد جبريل في السرد على أحداث تاريخية حقيقية حول الحاكم بأمر الله وحاشيته وما آل إليه الحكم فترة وجوده، وعلى الرغم أن ما فعله جبريل ربما يتنافى مع فكرة التخييل التي يعتمد عليها السرد الروائي "لأن الرواية التاريخية لا تقوم أبدا بتصوير الأحداث للرائي لأن صفحات التاريخ كفيلة بأداء هذه المهمة الشاقة، وإنما تكمن قيمتها في مدى براعة الكاتب في استغلال الحدث وكسائه حلة جديدة من خلالها يمكنه معالجة قضية حية من قضايا مجتمعه الراهنة" [٥]إلا أنه كان مباشرا في طرحه منذ البداية فيما أقره في العنوان انه سيعتمد على نصوص التاريخ وما تناقلته حول هذه الفترة.

ولذلك نجد استدعاء هذه الشخصيات ليس فقط من ناحية الاسم أو الصفات النفسية فحسب، بل اعتمد التناص، فجاءت الخطب والأقوال والرسائل التي رصدها التاريخ منسوبة لهذه الشخصيات التي أحاطت بقصة الحاكم بأمر الله.

---

[١] نضال الشمالي: الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)، عالم الكتب٢٠٠٦ م. ، إربد- الأردن، ط١، ص ١٣٠

[٢] ماري تريز عبد المسيح : القراءة التاريخية وكتابة النصوص التاريخية، فصول ، عدد ٦٧ خريف ٢٠٠٥ ، ص ١٦٦.

[٣] عبد اللطيف محفوظ : الرواية التاريخية وتمثل الواقع الموقف الأدبي، عدد ٤٣٨ ٢٠٠٧ ،ص ١٩.

[٤] د. أحمد سيد محمد - الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب، دار المعارف –القاهرة١٩٨٥ ، ط٣- ص ٨١ ٨١

[٥] عبد الرشيد الوافي، ريادة علي أحمد باكثير في الرواية التاريخية الإسلامية، مجلة البيان، ع ٥٧٣ ، ٢٠١٨ ، ص ٥٨ ٥٨

وأخيرًا عمد كذلك إبراز الحدث الأشهر في قصة كل شخصية، فقد جاء استدعاء الشخصيات عبر الاسم والحدث والأقوال لتكتمل فكرة الاستدعاء من حيث تعدد الآليات والتقنيات التي حاول جبريل خطها ورصدها لكل شخصية.

أول عتبات النص

إن أول ما يواجه القارئ لتلك الرواية هو العنوان - أول عتبات النص -والذي أولاه الكاتب عناية فائقة تعبر عن مضمونه وانتمائه للروايات التاريخية الذي تتصدره شخصية الحاكم بأمر الله، مع طرح التساؤل في ذهن القارئ ما الذي ذكره رواة الأخبار حول شخصية الحاكم بأمر الله؟ وهل ما جمعه محمد جبريل يختلف عما حملته ذاكرة المتلقي حول تلك الشخصية المثيرة للجدل؟ تاركا للمتلقي الإجابة من خلال أحداث النص وبالتالي فهو يفتتح النص بعنوان توجيهي، يؤكد من خلاله على أنه اعتمد في سرده على الوقائع التاريخية التي سجلتها كتب التاريخ.

وقد اعتمد في روايته على البناء التقليدي للنص التاريخي من حيث التوثيق والسرد في ترابط واضح بين الأحداث في مزج بين السرد التاريخي والروائي دون إصدار حكما أو تعليقا يبين موقفه من الشخصية البطل التي أراد الكشف عن تطورها من خلال الأحداث السياسية التي وثقها في الرواية معتمدا في ذلك على أحداث وشخصيات حقيقية يؤدي هو دور الراوي العالم بالأحداث وتسلسلها وكذلك المتقن لرسم كل شخصية من شخصيات النص بكل أبعادها وفق الأحداث السياسية التي رسمت خطاها تاريخيا، حيث شهد تاريخ مصر " سيراً للعديد من القادة والحكام والتي تميزت ملامح شخصياتهم بثراء السمات والصفات التي يتميزون بها من جرأة وإقدام وشدة وبأس وصرامة وحزم وقوة وثبات، كما اتسم بعضهم بالعديد من المتناقضات بين الاندفاع والتردد والحكمة والحماقة والجور والعدل والشجاعة والجبن، فمنحت هذه الشخصيات الفرصة للمؤرخين والرواة في إثراء صفحات التاريخ بأخبارهم وما وقع في عهودهم من حوادث وما دار في أيامهم من غرائب وعجائب " [1]

وهذا الثراء هو الذي حرك خيال محمد جبريل لشخصية الحاكم بأمر الله ليرصد أهم ملامحها النفسية من خلال علاقتها بالشخصيات الأخرى التي تم استدعائها في الأحداث، وهذا هو الدافع الأساسي لاستدعاء الشخصيات التاريخية من دفاتر التاريخ ليترابط الحدث ويتسنى للمتلقي بناء قراءة خاصة به ساعدته عليها الطريقة التي رسمت بها الشخصيات فمن" خلال الشخصيات المتحركة ضمن خطوط الرواية الفنية، ومن خلال تلك العلاقات الحية التي تربط كل شخصية بالأخريات يستطيع الكاتب مسك زمام عمله وتطوير الحدث من نقطة البداية حتى لحظات التنوير في العمل الروائي، وهذا لا يتأتى بطبيعة الحال من غير العناية وبصورة مدققة وسليمة في رسم كل شخصية وتبين أبعادها وجزئياتها "[2] وهذا ما نلحظه منذ بداية السرد حتى نهايته، فجبريل اهتم اهتماما كبيرا بوصف الشخصيات مع تسليط الضوء على البعد النفسي لكل شخصية وهذا من خلال الحوار.

يقول محمد رياض وتار " تحتل الشخصية موقعا هاما في بنية الشكل الروائي فهي أحد المكونات الأساسية للرواية إلى جانب السرد، وتتأتى الشخصية أهميتها كعنصر أساسي في الرواية، من اهتمام الرواية بتصوير المجتمع الإنساني الذي يشكل فيه الشخص العمود الفقري، والقوة الواعية التي يدور في فلكها كل شيء في الوجود، وقد جعل هذا المركز الهام الذي تبوأته الشخصية في

---

[1] هاني مهني طه -الحاكم بأمر الله: رجل العجائب والغرائب مجلة المقتطف المصري التاريخية - الإصدار الأول مؤسسة دراسات سياسية تاريخية م٢ ع٥ يونيو ٢٠١٠ ص ٥٧

[2] نصر الدين محمد، الشخصية في العمل الروائي، ع ٣٧ ، س ٤، دار الفيصل الثقافية،الرياض ١٩٨٠ ، ص ٢٠

الرواية، أحد النقاد يعرف الرواية بأنها " قصة لقاء الشخصيات بعضها مع بعض، وإخبار بالعلاقات التي تنشأ بينها[1]"

إذن فالرواية تحكي بشكل مباشر عن شخصية الحاكم بأمر الله من خلال ما تركه الرواة مع مزج القص التاريخي ببعض أدوات السرد الروائي التي أظهرت موقف الكاتب تجاه بطل روايته فعلى الرغم من تصدر شخصية الحاكم بأمر الله ضمن قائمة سفاحي التاريخ إلا أننا نلمح تعاطفا من الكاتب في رسمه للشخصية.

أما من حيث الشكل فإن الرواية مقسمة على ثلاثة أقسام التكوين والصراط والخفاء.

نجد الكاتب في القسم الأول – التكوين - يتحدّث عن تكوين شخصية الحاكم بأمر الله من حيث النشأة، وكيف تهيأت الظروف السياسية لبناء تلك الشخصية التي عاشت طفولتها وسط المكائد والخيانات التي انتهت بفترة توليه الحكم في سن صغير يظهر من خلال تلك المرحلة كيف تطور من السذاجة والطفولة إلى الدموية التي جعلته يقتل وزرائه وقضاته وأعوانه على اختلاف مناصبهم وكان الدافع غالبا وراء تلك الدموية الشك أو الخوف من تقلبهم عليه.

ثم ينتقل في القسم الثاني – الصراط- وهو القسم الأكبر من حيث الأحداث والجرائم، وقد ميز هذا القسم ذكر الكثير من الشخصيات التاريخية التي كانت تمثل فترة الفتن في حكم الدولة الفاطمية وتم رصد قصص كل حادثة قتل تمت على يد الحاكم بأمر الله.

أما القسم الثالث – الخفاء –يتناول فيه نهاية فترة حكمه وما آلت إليه البلاد من الفتن والتي انتهت بمقتله أو ربما اختفائه.

ومن خلال هذا التقسيم الذي اتبعه محمد جبريل نجد التناسب بين العنوان الذي صدره للرواية والمضمون، في لعبة سردية بين روايات التاريخ و خيال الأديب، إذ استعملت نصوص التاريخ في لغة روائية سردية للكاتب.

إذن فالكاتب اعتمد على السرد التاريخي لاستدعاء عدد من الشخصيات التي مثلت مرحلة تاريخية أثارت الجدل ونسجت حولها الكثير من الحكايات والأساطير وتعددت الروايات التي نقلها الرواة ليس فقط حول شخصية الحاكم بأمر الله بل لحاشية بأكملها ربما ساهمت في بناء شخصية الحاكم نفسه وبذلك نستطيع أن نقول إن الرواية هنا هي رواية الشخصية فأرى أن محمد جبريل اعتمد اعتمادا كليا على رصد شخصيات تلك الفترة وكيف كانت نهاية تلك الشخصيات وما الدافع الذي أنهى حياتهم في الحدث التاريخي.

التناص مع النصوص الأدبية

يظهر التعالق النصي خاصة في التناص مع نصوص الشخصيات المستدعاة في النص حيث يبدأ النص بتقديم في صفحة واحدة، وربما تؤكد تلك البداية الاتجاه الذي سيتناول فيه الكاتب الشخصية حيث تحمل هذه التقديمة ثلاثة نصوص اعتمد فيها على التناص، الأول من شعر الحاكم بأمر الله في قوله

أصبحت لا أرجو ولا أتقى إلا إلهي، وله الفضل

جدي نبي، وإمامي نبي ودِيني الإخلاص والعدل[2]

---

[1] محمد رياض وتار، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية (دراسة)، إتحاد كتاب العرب ، م ١٩٩٩ ، ص١٦٠

[2] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – روايات الهلال – العدد ٦٥٣- مايو ٢٠٠٣- ص ٥

والبيتان من رسالة كان قد أرسلها الحاكم بأمر الله إلى أمين الأمناء حسين بن طاهر الوزان، وذلك حين كثرت إنعامات الحاكم بأمر الله، والتي توقف عن تنفيذها أمين الأمناء حسين بن ظاهر الوزّان، والذي رأى أن كثرة هذه العطايا التي يبذلها الحاكم قد تهدد الوضع المالي للبلاد فاعترض على هذا الإسراف، فكانت رسالة الحاكم على اعتراضه وتوقفه في تنفيذ الأوامر، فكتب إليه الحاكم بخطه: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله كما هو أهله:

أصبحت لا أرجو ولا أتقي...إلا إلهي وله الفضلُ

جَدي نبيّ وإمامي أبي ... وديني التوحيد والعدلُ

المال مال الله والخلق عيال الله، ونحن أمناؤه في الأرض، أطلِق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام.

كل الأمور تبيد عنك وتنقضي ... إلا الثناء فإنه لك باقي

لو أنني خُيّرت كلّ فضيلة ... ما اخترتُ غيرَ مكارم الأخلاق١

وهذه الرسالة يستشهد بها الكثيرون ممن أبرؤا الحاكم بأمر الله من صفات الجشع والظلم للرعية وادعاء الألوهية وتصدرها للنص بهذا الشكل قد يؤكد موقف الكاتب من شخصية الحاكم بأمر الله.

أما النص الثاني بالمقدمة فجاء على لسان المأمون الموجه إلى عامله في مصر عيسى بن منصور حيث قال: لم يكن هذا الحدث العظيم إلا من فعلك، وفعل عمالك، حملتم الناس مالا يطيقون، وكتمتموني الخبر، حتى تفاقم الأمر، واضطرب البلد" ٢

وذلك حين أتى المأمون إلى مصر بعد اضطراب البلاد وحالة التمرد والفتنة التي سادتها، حيث حمله مسؤولية اندلاع تلك الفتنة حيث" انتقضت أسل الأرض كلّها عربَها وقِبْطها فِي جمادى الأولى سنة ستّ عشرة، وأخرجوا العُمَّال، وخالفوا الطاعة، وكان ذلكَ لسُوء سيرة العُمَّال فيهم"٣

أما النص الثالث فمن رسالة بوسويه إلى لويس الرابع عشر" ومع أن جلالتكم تعلمون - بلا شك - كم ترتكب من المظالم في جميع المجالات، فإن ما يبقى شعبكم على ولائه لكم، هو أنه لا يمكنه أن يتصور علم جلالتكم بكل شيء وهو يأمل أن تضطركم القوانين التي أصدرتموها للحفاظ على سلامته، إلى التعمق في درس هذه القضايا المهمة" ٤

وبوسويه بوصفه واعظا كنسيا ومربياً وأستاذا خاصاً لابن الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا وحكيمًا من الحكماء والخطباء الأشهر في فرنسا فإن وعظه كان ذو مكانة كبيرة في نفوس الملوك لا سيما لويس التاسع نفسه وهو هنا في رسالته الوعظية يتحدث عن الفكرة نفسها التي صدر بها الكاتب روايته، فالنصوص الثلاثة تتحدث عن الفكرة نفسها حيث ديكتاتورية الحاكم وضياع الشعوب.

مع نص الحاكم بأمر الله الذي ينفي عنه ادعاء الألوهية الذي أثبتته كتب التاريخ ويؤكد سخاؤه الذي أكدته الكثير من كتب الأخبار، فقد كان معطاء سخيا لشعبه طوال فترة حكمه.

---

١ انظر – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية – تقي الدين احمد بن علي المقريزي – تحقيق محمد زينهم / مديحة الشرقاوي – الجزء الثالث – مكتبة مدبولي – مصر – ١٩٩٨ – ص٥٥٩

٢ محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق - ص ٥

٣ أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي - كتاب الولاة وكتاب القضاة - دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م - ص١٤١

٤ محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق ص ٥

ولم تتوقف فكرة التناص عند هذه النصوص المباشرة فقط بل أن السرد التاريخي والوصف الذي اعتمد عليه جبريل إنما مأخوذ نصا في كثير من الأحداث من رواة التاريخ أنفسهم وهذا ما أقره العنوان فقد تناص مع ما جاء عند ابن خلكان والمقريزي وابن الأثير والأنطاكي، فهناك الكثير من المشاهد التي نقلها نصا من كتب الأخبار وهناك من الرسائل والخطب المأخوذة على لسان أصحابها من المراجع التاريخية.

الرواية بها أحداث كبيرة وشخصيات كثيرة تتفاعل مع بعضها البعض لكي تعطي القارئ المتعة والفائدة، يذكر جبريل الأسماء والأماكن والتواريخ صراحة في هذا العمل، إمعانا في التسجيلية، فنراها شخصيات واقعية حقيقية نعرف معظمها معرفة شخصية من كتب التاريخ والذاكرة التي حوتها، والبحث هنا يريد الوقوف لا عند شخصية الحاكم بأمر الله وإنما عند الشخصيات التي شكلت حياته وساعدت في تطوره حتى أصبح أسطورة تحكي عنها الكتب والمؤرخين.

الشخصيات في النص

شخصية الحاكم بأمر الله

تمثل الرواية صراعا للحفاظ على الحكم وقلق الحاكم بأمر الله من حاشيته طول فترة حكمه مما جعله يتخذ قرارات عجيبة تجعل حقبة حكمه دموية مليئة بقصص القتل والمؤامرات ورغم ذلك نجد الكاتب يركز على المبررات التي يحيكها دائما للحاكم بأمر الله، و إن لم ينصفه التاريخ فوصف فترة حكمه بالاستبداد الذي أدى إلى قيام ثورة حمل شعلتها أبو ركوة "الثائر بأمر الله"، فانقلبت الرعية على الحاكم بأمر الله وطالبوا بإسقاط الحكم عنه حتى انتهى أمره على يد أخته ست الملك بعد قيامه بالكثير من القتل والحرق.

وهذا ما أقرته كتب التاريخ فيما روته الأخبار كالمقريزي في الخطط وابن خلكان في وفيات الأعيان وكذلك ابن إياس في بدائع الزهور في واقع الدهور.

لقد استطاع جبريل أن يماهي النص التاريخي مع النص الروائي، فحاول عرض الشخصيات التاريخية بشكل روائي عن طريق استنطاق الشخصيات، والتي حركها الحوار الذي وثق بالتاريخ ورواياته في محاولة لإبراز الدوافع النفسية خاصة حول حوادث القتل التي كان محركها الأساسي الخوف تارة والحقد تارة أخرى.

ومما يلاحظ في بناء هذه الشخصية أن جبريل لم يخرج عن البعد التاريخي لها، لأنه "إذا كانت الرواية نصا تخييليا ينهض على مرجعية واقعية في كثير من الأحيان، فإن الرواية التاريخية ستكون نصا تخييليا يعتمد على مرجعية تاريخية في كل الأحيان " [1]

وعن نهايته قالوا: "إن الحاكم خرج مرة ليلا راكباً حماره إلى مرصده الذي كان يخلو فيه لنفسه بجبل المقطم جنوب القاهرة، ولم يعد الحاكم من هذه الرحلة، وعثر الناس على حماره وملابسه ملوثة بالدماء فعرفوا أنه قتل."[2]

ضمت الرواية إلى جانب شخصية الحاكم بأمر الله عددًا من الشخصيات التاريخية، والتي عمل الكاتب على التركيز على دورها، وربطها بتطور شخصية الحاكم نفسه عبر السرد، وإن كانت الرواية حملت العديد من الأسماء التي حفلت بها كتب الرواة والمؤرخين إلا أن البحث سيركز فقط على الشخصيات التي أثرت بشكل مباشر في فترة حكم الحاكم من خلال الرواية محل الدراسة، ويمكن تصنيف تلك الشخصيات على النحو التالي:

---

[1] مرسل العجمي، الرواية التاريخية في الخليج، مجلة البيان، ع ٥٨٨ ، ٢٠١٩ ، ص ١٠ - ١١ .

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان، القاهرة، ١٢٧٥ ه، ١٢٧/٢ - ١٢٨

رجال الدين:

- الشيخ معتمد الدمنهوري
- الشيخ مصابيح
- الشيخ ظل الأمان
- أحمد الكناس
- عبد القيوم السروجي

الحاشية

- الحسن بن عمار
- الأستاذ أبو الفتوح برجوان
- القاضي النعمان
- الشيخ مالك بن سعيد الفارقي
- فهد بن إبراهيم
- الحسين بن جوهر الصقلي
- ابن العداس
- أبو الفضل صالح الروذباري
- ابن القشوري
- أبو العباس محمد بن العوام
- الحسين بن الوزان
- حمزة الزوزني
- حسين بن علي النعمان

أسرة الحاكم

- الأب: الخليفة العزيز بالله
- الأم: السيدة العزيزية
- الأخت: ست الملك

العلماء

- ابن الهيثم

الخدم والجواري

- زيدان الصقلبي
- الجارية خيرات
- الجارية عظيمة
- الخادم عقيق
- القهرمانة

ومن خلال التصنيف السابق للشخصيات، فقد قدم صورة عن النظام السياسي والاجتماعي الذي أرسى قواعده الحاكم بأمر الله في مصر.

وضمت الرواية إلى جانب الشخصيات السابقة الذكر شخصيات أخرى كثيرة كان لها مشاركات في المكائد التي حاكها النص أو أدوار في إبراز الشخصيات الرئيسة مثل الخدم والكتاب والحضرة ... إلخ، سيحاول البحث الوقوف عند آلية توظيف الشخصيات التي كان لوجودها تأثير مباشر في شخصية البطل " الحاكم بأمر الله"

الشيخ معتمد الدمنهوري

تبدأ الصفحات الأولى في السرد الروائي بأول شخصية تاريخية وأول حادث قتل بين عشرات الحوادث التي ضمتها الرواية حول فترة حكم الحاكم بأمر الله حيث شخصية الشيخ معتمد الدمنهوري والذي يصف فيه الكاتب وصفا دقيقا لمشهد القتل "شق الخنجر أسفل البطن، والجسد بطوله حتى أعلى الصدر انبجس الدم نوافير متلاصقة، وأعقب الشهقة المتألمة سقوط الرأس إلى الجانب، واصطباغ الجسد والدائرة الواسعة من حوله بالدم شرخت الصرخة الصمت السادر، وإن لم تذبحه مضت الخطوات مبتعدة حتى تلقفها السكون والظلمة لم يشعر بما حدث حتى الخفير على باب الحارة، أسند عصاه الهائلة إلى جانب الدكة، وتعالى غطيطه ..." [1]

لم يكتف جبريل في وصف مشهد القتل فقط بل مزج الحقيقة بالأساطير التي تلت مقتل الشيخ حيث اتبع مشهد قتله وصفا للكوارث الأسطورية التي حدثت في البلاد فقد كسفت الشمس طيلة يوم مقتله، واشتد البرق والرعد وأمطرت السماء ماء أسود ، وسقط رمل وتراب كالمطر ونزلت في ساحات القصور الفاطمية حجارة حمراء، وهبت ريح سوداء محملة بالتراب، وتناثرت على الأرض دماء لا أحد يدرى مصدرها، وانطفأت الشموع في مار جرجس .

لم تغضب الطبيعة فقط بل جاءت رسالة الوعيد في نقش على بيضة كتب عليها" إن ربك لبالمرصاد "، ووصلت لعنة القتل المواليد فقد ولد طفلاً بملامح قرد، أما الأماكن فقد طالتها هي الأخرى لعنة مقتل الشيخ، فأحرقت دور كثيرة، وخسفت قرى بصعيد مصر واهتزت الدور والأماكن كأن زلزالاً أصابها حتى المزروعات أتى عليها.

وهكذا جعل جبريل من مقتل الشيخ معتمد الدمنهوري لعنة طالت البلاد بدورها وسمائها وأطفالها وزروعها حتى لم تخل من شر أصاب كل شيء في توظيف لعنصر الخرافة بشكل ربما بالغ الكاتب في سرده لكنه في استدعائه لشخصية معتمد الدمنهوري ربما يبرر ما آلت إليه البلاد ولذلك بدأ بتلك الشخصية التي استطاعت التأثير في نفوس الشعب بالتقوى والورع والبعد عن حياة القصور وخلافات الأمراء والمكايد التي سمحت للكثيرين اعتلاء المناصب المهمة في تلك الفترة المظلمة من تاريخ مصر وهذا ما وصفه محمد جبريل بقوله أن " الشيخ الدمنهوري لم يكن يحب عشرة الحكام ولا صلة له بقيادات الحكم أيامه كأنها الورقة التي أعيد نسخها: صحوه في صلاة الفجر، وسعيه إلى جامع الأزهر القريب يعود إلى بيته في حارة الديلم فلا يغادره حتى أذان الظهر يسرع في خطواته إلى الجامع ليؤم المصلين حلقته في الجامع الأزهر تدور على خمسة عشر عموداً لكثرة الطلبة الذين قصدوه للإفادة من علمه ربما تردد بعد ذلك - على سوق الوراقين يقرأ في جديد المخطوطات حتى صلاة العصر يمضى إلى جامع القرافة ، فيؤم المصلين، ويعود إلى البيت ينشغل ما بين صلاتي المغرب والعشاء بتلاوة القرآن، وكتب الفقه والسنة وتاريخ الصحابة والأولياء ركعات الشفع والوتر - عقب صلاة العشاء - آخر ما يودع به يومه يمضى إلى سريره تسبقه

[1] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق – ص٩

غمغمات بالبسملة والحوقلة والمعوذتين" [1]هكذا جاء السرد الروائي حول يوم الشيخ الدمنهوري وتفاصيله البسيطة المحدودة التي جعلت الناس يحزنون عليه وكذلك الطبيعة وربما في هذا الوصف الذي اعتمده جبريل مبررا للجوئه لتوظيف الخرافة بعد مشهد مقتله حتى إنه لم يكتف بسرد يومياته فقط بل انتقل إلى الكشف عن طبيعة الشخصية المستدعاة في قوله "عرف عنه ميله إلى التفريج عن المكروبين، وكان عفيفاً عن المحارم متقياً في نفسه، ولا يرى إلا صالح الناس لم يكن يرد السائلين، ولا يتعلل بظروف تمنعه من مد يد المساعدة ظل - حتى قتل - عف اللسان لا يأذن للانفعال أن يغلبه "[2]وجاء ليؤكد حب الناس له وترقبهم لمجلس وعظه أن الشوارع كانت تخلو من الناس وتغلق الدكاكين وقت دروسه وهنا يجب أن يطرح المتلقي التساؤل الأهم وهو لماذا قتل الشيخ وهو بهذه السماحة والعزلة والبساطة؟ وهذا ما رواه الكاتب وصدره بشخصية الحسن بن عمار الذي جاءت حادثة مقتل الشيخ حاملة اسمه في قول القاتل للشيخ وهو يطعنه بالخنجر " هذه هدية الحسن بن عمار"

الحسن بن عمار(أمين الدولة) *

مع استدعاء شخصية الحسن بن عمار يصفه الكاتب ويصف مجلسه في القصر ثم يعود بالأحداث مستخدما تقنية الاسترجاع حيث موت العزيز بالله وتسلم الحاكم بأمر الله للحكم تمهيدا لظهور شخصية بن عمار والمكانة التي وصل إليها فقد كان من أهم رجال الدولة في ظل حكم العزيز بالله، أما عن علاقته بالحاكم بأمر الله فهي علاقة قديمة منذ فترة حكم أبيه فقد " قال الرواة إن العزيز بالله أوصى بولده الصبى ثلاثة من أهم رجاله : برجوان الصقلبي ، خادمه وكبير خزانته، الحسن بن عمار الكتامي زعيم كتامة، القبيلة المغربية الأهم، وسند الدولة الفاطمية منذ بواكيرها ، ومحمد بن النعمان قاضي القضاة ..."[3]

وهنا يرصد الكاتب ثلاثة من أعمدة الحكم في الفترة الأولى من حكم الحاكم بأمر الله كان محمد بن النعمان القاضي وتولى برجوان الخزانة ولقب بن عمار بأمين الدولة حتى آلت له الكثير من السلطة والسيطرة التي ذللت له بعد موت الخليفة وصغر سن الحاكم بأمر الله، فحاول تسويد كتامة وإنصاف المغاربة على حساب المشارقة والمصريين الذي قتل منهم الكثيرين وحاول إضعاف القصر وكانت له قصصا كثيرة في المكائد وحوادث القتل " قال الرواة إن من دخل أقبية قصره، لم ير النهار ثانية وكان يدفع إلى معارضيه من الأمراء والعلماء والوجهاء بمن يدس السم في طعامهم، يستصدر أحكاماً بزندقتهم من قاضي القضاة، يأمر من يقذف بكرات اللهب في باحات قصورهم، فتأتى النيران على كل ما في القصر وكان يضع معارضيه من العوام في خزانات الماء المغلي، في قبو أسفل القصر يصب الزئبق في عيونهم، يحشو جراحهم - بعد ضربات السياط - بخرق الملح تعلو ملامحه نشوة وهو يشاهد تقلصات الوجوه وتوالى الصرخات وكان يحرص على أن يراقب عمليات الإعدام في بقعة الدم"[4]

هكذا لجأ محمد جبريل في الوصف إلى تفاصيل دموية الحسن بن عمار في وصف الأبعاد النفسية للشخصية وحين نعود إلى سبب مقتل الشيخ نجد أن الحسن بن عمار نفسه لا يعرف المبرر للقتل في سؤاله لعبد القادر السلاب

---

[1] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق – ص١١

[2] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق – ص١١

* وهو أول لقب من نوعه في الدولة الفاطمية

[3] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق – ص١٥

[4] السابق ص ٢١

-" هل انتهى الأمر ؟..
قال السلاب:
-إنه يلقى عظاته الآن على أهل الآخرة...
سأل ابن عمار :
أنا لا أشفق على موت الشيخ، وإنما أسأل : لماذا الحرص على قتله ولم يكن له مشاركة في مسائل الحكم ..." [1]

كانت شخصية ابن عمار واضحة منذ الخطوط الأولى للسرد فقد كان صاحب السلطة الحقيقية الآمر الناهي لكنه على حد قول محمد جبريل لم يكن يحب المغامرة فكان يدبر لكل حادثة قتل حتى وإن لم يصدقها الناس مثل حادثة مقتل الشيخ الذي أشاع بين الناس الكثير من الافتراءات حوله قبل قتله حتى يسوغ لنفسه ما يفعل، وربما فكر في أنه سيسأل فرغم صغر سن الخليفة إلا أنه كما ذكرت روايات التاريخ شديد الملاحظة، ذو وعي وإدراك ومؤكد أن هذا الأمر ليخفى على الحسن بن عمار الذي لازمه فترة كبيرة من حياته ولهذا الحدث الجلل بمقتل الشيخ معتمد كان على الخليفة التحقيق بإحضار وزيره وفي حوار قصير كان التساؤل عن قاتل الشيخ على لسان الحضرة " من الذي قتل الشيخ، [2]وبعد انتهاء الحوار يلجأ الكاتب إلى الكشف عن السبب الحقيقي وراء قتله للشيخ

"قيل إن الشيخ أفتى بقتل الحسين بن عمار وجد في أقواله وتصرفاته مروقاً عن الدين، فأحل الخلاص منه هو ساحر، والسحرة ملعونون في القرآن، واتهمه بأنه يبيع الولايات، ويعزل الولاة، ويعيدهم إن دفعوا ما يسد عينه، ويغرى على سائر الرعية من استمالهم من الزعر والحرافيش للاعتداء على حرماتهم، وسلب ما يمتلكون تعددت أعمال النهب وانتهاك الحرمات، صار من المألوف أن يغادر المرء بيته، فلا يعود إليه، يقتله، أو يغيب في المجهول، من لا يتكلمون، أو يفصحون عن هويتهم ..."[3]

وينتهي استدعاء شخصية الحسن بن عمار بتدبير برجوان لعزله وإبعاده عن الحكم.

قال الرواة إن الحسن بن عمار قتل في ظروف غريبة زعيم كتامة وأمين الدولة السابق، قتله الغلمان الترك وهو يغادر قصر الحضرة أذن له الإمام بأن يركب إلى القصر عند انصراف، فاجأه الغلمان فقتلوه، وحملوا رأسه إلى الحاكم داخل القصر "[4]

برجوان " الأستاذ"

بعد استعراض شخصية ابن عمار تأتي شخصية برجوان وهو أحد من أوصى إليهم العزيز برعاية الحاكم بأمر الله وكان برجوان أول من ناداه بأمير المؤمنين بعد موت العزيز وكان برجوان المنافس الوحيد لابن عمار للسيطرة على الحكم وهو من استطاع عزل ابن عمار والتخلص منه، "قال الرواة إن برجوان سكت عن تدبير ابن عمار للأمور، وتسييره لها، لكن النفس المتغيرة لم تترك طبيعتها بذل الدس والوقيعة والتآمر اجتمع الأتراك والديلم والمشارقة والحجرية والسود والسرانيون وعبيد الشراء على حرب المغاربة - هاجم النهاية وأحداث الغلمان دار ابن عمار واسطبلاته ودار غلامه رشا نالوا بالأذى من كانوا فيها، ونهبوا محتوياتها، وحطموا الأبواب

---

[1] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق – ص٢١
[2] السابق ص٢٦
[3] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق ص ٢٧
[4] السابق ص ٨٥

والنوافذ، لجأ ابن عمار إلى الاختفاء، فأتاح لبرجوان أن يمسك زمام الأمور هزم الوزير الحسن بن عمار ، ولاذ بالفرار ، واستولى برجوان على الوزارة"[١]

وهوجمت دار ابن عمار و تهبت، فتحول إلى داره بمصر ، وتوارى حيناً، واضطر أن يترك الميدان حراً لمنافسه" عندئذ عهد بالنظر إلى برجوان) أواخر رمضان، وقبض برجوان على زمام الأمور بقوة، وبالرغم من أن الحاكم لم يلبث أن رد ابن عمار إلى منصبه وامتيازاته، مصانعة منه لكتامة وضمانا لسكينتها وطاعتها، فإن برجوان استأثر بكل سلطة حقيقية داخل البلاط وخارجه"[٢]

وقد برر عزل ابن عمار بأنه لم يوقر مكانة نفسه شيخاً وسيداً لكتامة، وأنه حابى المغاربة وأساء إلى المصريين والمشارقة ، واستبد.

ومع الوصف للشخصيات المستدعاة يظهر دور الحوار في استنطاق الشخصيات والكشف عن هويتها مع الاهتمام بوصف الملابس والأماكن بأسمائها الحقيقية، فقد عرض محمد جبريل لوصف شخصية برجوان منذ بداية حياته في مصر وتقربه من الخليفة العزيز بالله واتخذ دور الراوي في قوله "تعرفت على حياته من بدايتها، منذ قدومه خصياً صقلبياً أبيض، وتنشئته في القصر، وارتقائه في الخدم حتى بلغ مرتبة الأستاذية، وتقريب الخليفة العزيز بالله له، حتى ولاه إمارة القصر، وعينه وصياً على ابنه منصور بعد وفاته، وخلع عليه لقب " الأستاذ "* ، وأولاه ثقته، وعهد إليه بأمور مهمة تدخل في أمور الحكم حتى بعد أن تولى ابن عمار أمور الوساطة تولى الوزارة بعد أن رفع ابن عمار من منصبه أعاد تدبير الأمور في القصر الملكي يجلس في دهليز القصر، ويجلس الرئيس فهد في الدهليز الأول، ينظر في الشكاوى والتظلمات يعرض على برجوان ما يرى أنه يستحق أن يرفع إلى مقام أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله "[٣]

في ظل هذه الوصاية الخطرة التي جعلت الحاكم بأمر الله دمية في يد ابن عمار ومن بعده برجوان انشغل الصبي بهواياته التي تناسب سنه والتي كان نقد الشعر أهمها [٤]في تعمد من برجوان بإبعاد الحاكم عن رجال الدولة وعن أمور السياسية حتى استحوذ على كل شيء ولم يفسح له أو لوالدته التدخل في أي أمر يخص شؤون الدولة حتى بلغ الخامسة عشر وتنبه إلى ما يحدث في بلاطه" وأضحى الطفل فتى يافعاً شديد اليقظة والطموح؛ وكان برجوان يذهب في طغيانه وعسفه إلى حدود بعيدة، ويثير حوله ضراماً من البغضاء والحقد، ويحفز بذلك خصومه داخل البلاط وخارجه إلى العمل على تقويض سلطانه ومكانته واعتقد برجوان أن الجو قد خلا له، فانكب على ملاهيه وملاذه، يقضى معظم أوقاته في مجالس الأنس والغناء والطرب، فكان يجتمع بالمغنين والقينات، ولا يخرج من ذلك إلا في الضحى " [٥]

"قال رواة الأخبار إن الوزير برجوان اشتد ميله إلى اللهو والطرب وحب القيان، فهو يعكف على معاقرة الخمور ، وسماع الأغاني يبدو وسط المغنين من الرجال والنساء كأحدهم عدد المحظيات والجواري في قصره جاوز الألف" [٦]ورغم ذلك ظل برجوان ينظر إلى الحاكم بأمر الله

---

[١] نفسه ص ٣٨

[٢] محمد عبد الله عنان - الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية- ط٣ - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م- الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة / دار الرفاعي بالرياض - ص ٩٤

* وهو من ألقاب الوزارة في الدولة الفاطمية

[٣] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق - ص ٤٤

[٤] أنظر اتعاظ الحنفاء لوحة ٥٢ ب

[٥] محمد عبد الله عنان - الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية – مرجع سابق - ص ٩٧

[٦] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق - ص ٥٥

على أنه طفل تحت وصايته وهذا ما جعله يتمادى في بسط نفوذه وجوره على الرعية وأصبح يدير الدولة من داره .

كان الجميع يرى ذلك وأراد البعض تنبيه الأمير لما يدور حوله حتى أمه التي ألحت عليه أن ينظر في أمر برجوان الذي سيطر على زمام الأمور ولم يترك له من أمور الحكم شيء إلا اللقب حتى شعر الحاكم بأمر الله بالإهانة التي لحقته وبرجوان لا يزال يعامله كطفل صغير يفرض عليه كل شيء واتخذ قرار التخلص منه لكن ما جعله يحسم الأمر أخته ست الملك تلك الشخصية الأكثر تأثيرا في شخصية الحاكم بأمر الله

قالت ست الملك:

من خليفة هذه البلاد .. أنت أم برجوان ؟

تعثرت الكلمات على شفتيه : أنا منذ اعتلائي كرسي السلطنة .. أوقع على ما يطلبه برجوان ، وليس على ما أقتنع به

ومد شفته السفلى دلالة الحيرة:

الكتاميون يخضعون لإرادته...

هزت قبضتها:

هناك الجند المشارقة...

تملكه إحساس بالمحاصرة.

لعلى أدفع ثمن خطأ أبينا بإدخال الأتراك والسودان في الجيش الفاطمي

وهي تهز قبضتها

العبرة بالقيادة وليست بالجنود

تثق أن برجوان يتطلع إلى ما لم يبح به حتى لخواصه . السرير الذهب ، والإسطبلات ، والطباق ، والمطامع ، والجواري ، والعبيد ، والخدم . يؤدى دور السلطان، وإن أهمل التسمية . يحرص على تجنب المؤاخذة ، وغضب

الطوائف المتصارعة ، ومن يدينون بالولاء للبيت الفاطمي

هشت ذبابة بظاهر كفها:

إنه يصفك بالوزغة

قال في صوت محترق

أعرف

فلماذا تسكت ؟" [1]ولم تتوقف عند طرح التساؤل في تعجب فقط بل أمرته بالتخلص منه بقتله فأوكل إلى قائد القواد الحسين بن جوهر مهمة قتله.

الحسين بن جوهر الصقلي

اخذ الحسين بن جوهر مكان برجوان بعد قتله ولقب بقائد القواد" كان الخليفة العزيز بالله قد ولاه القيادة بعد وفاة أبيه جوهر، ثم قلد في عهد الخليفة الحاكم ديوان البريد والإنشاء بدا أجدر رجال الدولة بتولي منصب برجوان استدعاه الحاكم وخلع عليه قلده النظر في أمور الدولة والتوقيعات لقبه في سجل التعيين بقائد القواد" [2]

ورغم ثقة الحاكم فيه وتأكده من أنه الأجدر بالمنصب إلا أنه لم يعد الصبي الصغير الذي يتكئ على الموصيين بل أصبح يدرك مكانته واتخذ من الإجراءات ما يضمن به عدم استحواذ أحد

---

[1] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق - ص ٦١

[2] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق – ص٦٧

غيره على زمام الأمور وألا تعود فترة تسلط برجوان وابن عمار مرة أخرى وهنا تظهر أول ملامح تطور الشخصية في السرد "وعكف الحسين على تدبير الشؤون بمعاونة خليفته الرئيس فهد، فإذا دخلا إلى حضرة الحاكم، جلس القائد وقام فهد خلفه يعرضان الكتب والرقاع عليه، وأمر القائد أن : تبلغ إليه المهام والظلامات في مكانه بالقصر، وألا يلقاه أحد على طريق، وألا يقصد أحد داره لقضاء أمر أو سؤال في حاجة وألا يخاطب بغير لقبه الرسمي (القائد)، دون تعظيم أو تفخيم، وأمر أبا الفتوح مسعود الصقلبي صاحب الستر بأن يوصل الناس إلى الحاكم، وألا يمنع أحد من مقابلته أو الاتصال به، فدخل الناس إليه وأخذ رقاعهم، وقسمهم ووقع فيها ، والحاكم جالس في مكانه ، يدخل إليه أرباب الحوائج ، ويبدى رأيه في الأمور الهامة وغدا الحسين بن جوهر وصهره عبد العزيز بن محمد بن النعمان، الذي خلف أباه في منصب قاضي القضاة أعظم رجلين في الدولة، واستمر الحسين يدبر الأمور مدى أعوام ، حتى تغير عليه الحاكم " [1]

لماذا تغيرت نفس أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله على الحسين بن جوهر الصقلي؟

قيلت روايات كثيرة، ما تتحدث عنه معظم الروايات أن نفس الحضرة مالت إلى التوجس والشك وتوقع الخطر لم يعد يأمن حتى الأقربين القتل هو الوسيلة لاجتثاث الشر من جذوره...

لم يدرك أبو الفضل صالح بن على الروذباري باعث اختبار الإمام له بدلا من قائد القواد الحسين بن جوهر الذي عزله أضاف سجلاً العزل والاختيار إلى ما لا يتوقعه حتى أقرب الناس إلى الحضرة من أفعاله " [2]

شخصية ست الملك

أجمع المؤرخون أن ست الملك كانت ذات شخصية متميزة منذ الصغر فقد كانت" سمحة نبيلة كريمة الأخلاق والفعل " [3]، وكانت حازمة عاقلة قوية العزم بصيرة بالأمور عظيمة القدر جليلة الرأي كثيرة النظر في العاقبة " [4]كما كانت طموحة ذكية شجاعة.

وكان لست الملك دور سياسي كبير في الدولة الفاطمية في أيام أبيها الخليفة العزيز بالله ٣٦٥ ـ ٥٣٨٦) وأخيها الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ ـ ٤١١هـ) وابن أخيها الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله (٤١١ ـ ٤٢٧ هـ) وكان لها تأثير كبير على الأوضاع الاجتماعية و المذهبية والاقتصادية في عصر الظاهر.

"سبقت ست الملك موكب أمير المؤمنين ـ حين بدأ طريقه إلى القاهرة ـ في موكب صغير يتدثر بالليل، يشغلها الحفاظ على ملك الفاطميين، قالت : أنا لا أعرف وطناً إلا مصر، قدمت إليها وأنا في الثالثة كان لها أيام العزيز بالله نفوذ عظيم في الدولة، لم يكن أبوها العزيز بالله ـ يرفض لها طلباً ، ولا يرد لها قولاً وكان يلبي شفاعاتها وبتأثير نفوذها، أخذ العزيز بملامح التسامح المعلنة نحو النصارى ..." [5]فما منعها من التمكن من الحكم ليس ضعفا أو خوفا من برجوان وتخطيطه وإنما كانت ترى أنها تأخذ مكانتها بالفعل من نظرة الناس لها بما هيأ لها العزيز ذلك فكانت في القصور ست الملك و السيدة الشريفة وسيدة النصر و السيدة والجهة العليا، وكذلك يدعوها كل من بالقصر

---

[1] محمد عبد الله عنان ـ الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية – مرجع سابق ـ ص ١٠١

[2] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق ـ ص ١١٣

[3] الخطط جـ ٢ ص ٢١٧

[4] أنظر الوزير جمال الدين : أخبار الدول المنقطعة ص ٥٨ والنويري : نهاية الأرب جـ ٢٦ لوحة ٦١ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٨٥

[5] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق ـ ص ١١٣

بمولاتنا، ولكن كما ذكرنا سابقا فإنها من أشارت على الحاكم بالتخلص من برجوان، ويؤكد التاريخ قدرتها على التأثير في شخصية الحاكم ففي هذه المرحلة من حكم الحاكم فلم تكن تطمع في غير ذلك.

"كانت ترتدى ما يشي بأنها تدير الحكم : حول رأسها عصابة شال على هيئة مثلث، طرفاه إلى الوراء، كللت بالدر والجواهر، ويتدلى من أذنيها قرط على هيئة هلال، وتضع في إصبعها خاتماً من الذهب، به فص من العقيق الأحمر، يحيط به إطار بيضاوي، وتلف حول وسطها حزاماً من القماش الديبقى" [1]

لكن هذا الإحساس بالسيطرة والنفوذ غاب حين أحس السلطان أنها تريد إخضاعه لسلطانها وتغيرت معاملته لها حتى أصبح لا يناديها بست الكل أو السلطانة كما اعتادت، بدأت "تستدعى رجالاً ملثمي الوجود، ينصتون إلى ملاحظاتها وأوامرها، ويتصرفون - وكانت تبذل - بما لا يخفى على فهمها -للكاتب، والموظفين، وطائفة العطوفية في داخل القصر، وطائفة القيصرية التي تصطحبها في المرات القليلة خارجة، ثم تضع في بالها أرصاد لا يفطن إليهم أحد في داخل القصور الفاطمية يراقبون التصرفات، ويتنصتون إلى ما تعلويه الأقواء، وإلى الهمسات يبلغون مقام أمير المؤمنين - في اللحظة التالية - ما تفوح منه رائحة الدين والتآمر " [2]وهي التي منذ وفاة أبيها ترى أن أن لها الحق في توجيهه تشير عليه في كل الأمور بما تراه فقد كانت تكبره بستة عشرة عاما وساعدته في التخلص من برجوان وابن عمار و ابن النعمان.

كانت لست الملك جارية تدعى خيرات كانت تجيد العربية والحبشية والفارسية والتركية والشركسية فكانت على علم بكل ما يدور بين الجواري وعمال القصر مما أتاح لها نقل كل شيء يدور حولها ، لكن مع مرور الوقت بدأ الحاكم يتغير اكثر وتظهر عليه علامات لم ترها من قبل مما جعلها تتلصص على كل تصرفاته وهذا الأمر كان السبب الرئيس في تقلبه عليها

لم تتصور أن الإمام يقطع ميدان بين القصرين ليقف أمامها بعين الغضب:

-هل بدلت المواكب طريقها من قصر أمير المؤمنين إلى قصر الوصية عليه ؟

قالت ست الملك:

-أنا حبيسة قصرى ، ولست وصية على أحد...

كل ما يجرى هنا أعرف به في الليلة نفسها... وارتجفت عضلة فكه.

كل من استدعيتهم إلى هذا القصر ذهبوا إلى جهنم....

التفت - بعفوية - إلى حيث غابت خيرات وراء الباب المغلق هل يقصد الدلالة محبوبة ؟

أنا لم أستدع أحداً ... إنما هم خدم يذهبون ويجيئون ... [3]

وقد حمل هذا الحوار بين ست الملك وأخيها تحذيرا ووعيدا وأمرًا بألا تجعل نفسها وصية على الحكم، أما ست الملك فكان أملها في أن يبقى حكم الفاطميين وألا يكون انتهاؤه على يديه، ولهذا كان خيارها الأخير عند غياب الحاكم في نهاية النص فقد فضلت أن يغيب اخوها على ألا يغيب ملك الفاطميين ويضيع ملك أهلها واختلفت الروايات حول غيابه واختفائه وقتله، حتى ان بعض الروايات تؤكد أنها من دبرت لقتله

محمد بن النعمان

كان القاضي ابن النعمان ثالث رجال القصر الذين أوصى لهم العزيز بملازمة الحاكم وهو الملقب بقاضي القضاة وأول من أصدر مرسوم رسمي باسمه في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله و

---

[1] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق - ص ٦٧

[2] السابق ص ٧٤

[3] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق - ص ١٦٤

"أول ما أصدره الخليفة الحاكم بأمر الله - عقب اعتلائه كرسي الحكم إقرار بتعيين محمد بن النعمان في القضاء، وأن يوكل إليه أمر الدعوة، والصلاة بالناس نيابة عن الخليفة أمير المؤمنين ثم أصدر الخليفة سجلاً آخر بوراثته الملك عن أبيه الخليفة العزيز بالله وتضمن السجل وعداً من أمير المؤمنين الحاكم بحسن النظر إلى الرعية، وإعلاناً بإسقاط بعض المكوس التي كانت بالساحل" [1]وهذه المزية التي منحها إياه الحاكم كانت سببًا للتدبير لقتله على يدي ابن عمار وبرجوان، فقد رأيا أحقيتهما بالانفراد بأمور البلاد وخشيا على وضعهما وكان لزاما إزاحته عن طريقهما .

قال الرواة إن قاضي القضاة محمد بن النعمان رحل عن الدنيا لم يثبت إن كانت الوفاة طبيعية، أم أنها بتدبير خصوم رجح الاحتمال الثاني ما أعلن عن الأموال الكثيرة لليتامى في ذمة قاضي القضاة عرف عن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله - منذ جلس على كرسي الملك - حرصه على أموال المسلمين ليس ما يملكونه في بيت المال وحده، وإنما ما يحملونه في بيوتهم، ويورثونه لأسرهم وأقاربهم ولم يعرف عن الحضرة أنه أعدم، أو سجن، من أخلص في عمله، ولزم الحدود، ولم يتصرف في أموال الناس، كان محمد بن النعمان حريصاً على ارتداء فاخر الثياب: الدراعة والعمامة بغير الطيلسان الذي يميز العلماء وكان يكثر من استعمال الطيب والبخور في مجالسه ويهب الصدقات والأعطيات دون حساب" [2]

القاضي حسين بن النعمان

تولى القضاء بعد مقتل قاضي القضاة محمد بن النعمان

"عين الحسين بن جوهر عبد العزيز بن محمد بن النعمان في منصب قاضي القضاة، خلفاً لأبيه، وقصر عمله على ما تطلبه مهام الوزير، فهو يكتفى بتقديم المشورة للخليفة، وينفذ ما يصدره من أوامر لم يعد ثمة وزراء، إنما هم وسطاء يباشرون العلاقة بين أمير المؤمنين وبين الناس " [3]

لم تتغير نهاية الحسين بن النعمان عمن سبقه وكذلك من لحقه فجرائم القتل تملأ سيرة الحاكم وتتمحور حولها كل قراراته الحاسمة فالقتل في فترة حكم الحاكم بأمر الله أمرا معروفا كان يتم بكل يسر وكان الجميع على علم به فالكل ينتظر نهايته حتى من تأكدوا من ثقته فهم لم يسلموا منه ومن بطشه فها هو الحسين بن النعمان وقد " شغل رئاسة القضاء ومنصب داعى الدعاة ظل الإمام يوليه ثقته، ويدعم مكانته، ويندب جماعة للركوب معه في كل مجلس شجر خلاف بين قاضي القضاة الحسين بن النعمان ومتولى المظالم عبد العزيز بن محمد بن النعمان عانى المتقاضون تأثيرات الخصومة بلغ أمير المؤمنين ما جرى أخفقت محاولاته في إصلاح ذات البين، حتى تغيرت نفسه عزل الحسين ، وعهد إلى عبد العزيز بمنصبه، إضافة إلى ولاية المظالم ، وخلع عليه ناله - بعد ذلك - غضبه، فقتله ، وأحرق جثته " [4]

الشيخ مصابيح

أحد أهم الشخصيات التي اهتم جبريل بوجودها ضمن الوصف السردي كان الشيخ مصابيح الذي يتوقف الكاتب عند ملامح واصفًا إياها بقوله" الوجه الأبيض المشرب بالحمرة، والعينين اللامعتين تطل منهما نظرة هادئة، والشارب المحفي والذقن البيضاء كهالة، والعصفور الأزرق الموشوم على الصدغ ، والابتسامة الرائقة مثل شمس صغيرة" [5]كان الشيخ مصابيح محبوبًا عالمًا

---

[1] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق - ص ١٥

[2] السابق ص٣٩

[3] نفسه ص ٧٩

[4] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق - ص ٩٥

[5] السابق ص ٨١

مثقفًا يحبه الناس وله مريدين وكان هو نفسه من تلاميذ الشيخ معتمد وتعلم منه أن تعلم الفقه الديني سبيلًا للجنة والحياة الآخرة، "عمرت مجالسه بالعلماء والفقهاء والزهاد ازدحموا عليه، وترددوا على بابه تزايد أعوانه عهد بهم إلى منير أبي المجد يجد في النساخ أشد الناس حظاً من العلم هو يقرأ ما ينسخه، يستعيده إذا قرأه ثانية تكثر قراءاته، وتتعدد قراءاته لكل مخطوط يعيد نسخه صار مريدوه يفعلون مثل فعله يقفون في الطرقات والمقابر والجوامع والمدارس والأسواق وكانوا يجتمعون في مغارة بالمقطم، يخوضون - كما أبلغت الأعين مقام الحاكم - في الفصول والأراجيف ألقى الشيخ عصى المخالفة في قلوب العوام" [1]

أسهب محمد جبريل في وصف شخصية مصابيح وطقوسه وأفكاره وكيف كان ورعًا تقيًا عالمًا في الدين لا يأبه أحد خاصة بعد مقتل أستاذه الشيخ معتمد الدمنهوري ورؤيته التي جاء فيها الشيخ يطلب منه الأخذ بالثأر ممن قتله وأن هذا الثأر أمانة في عنقه ولهذا حمل الشيخ مصابيح تلك الأمانة وكان تعلق العامة به وبمجالسه فرصة عظيمة ليؤثر فيهم ويقلبهم على الحاكم وكانت الأساطير والخرافات إحدى طرقه للتأثير عليهم وإقناعهم بحكاياته.

" قال إن الشيطان ظهر للخليفة في صورة زحل ملأ حجرة نومه بوجوده سأل الإمام، وأجاب الشيطان المتخفي في هيئة زحل أمر الشيطان الحضرة أن تذبح له القرابين تحدث الشيخ عن عفاريت القتلى التي تصرخ كل ليلة في بقعة الدم، وعن الأرواح التي تعلو فوق الروس، في البيوت التي أعدم أصحابها، تغنى، وتؤدي رقصات الموت لن يغيب الرقص، أو تسكت الأغنيات والصرخات إلا إذا حصل الموتى على ثأرهم الثأر في رقاب ذويهم ، ومن صمتوا عما لحق بهم ..." [2]وهكذا حتى استطاع أن يتنبأ بقتل الحاكم، وإن كانت النبوءة لا تحتاج إلى رجل مثل الشيخ مصابيح، فما حدث في فترة حكمه وكم الحوادث التي نقلتها كتب التاريخ والتي تمثلت في أبشع طرق القتل تؤكد أن هذه ستكون نهايته ومن المؤكد أن هذا التنبؤ هو الخطة التي وضعها الشيخ مصابيح فقد "قال الرواة إن الشيخ مصابيح دعا جماعة من العلماء والفقهاء والزهاد إلى مجلس في مسجد صغير، أول الفسطاط من ناحية حلوان - عرض عليهم أفعال الخليفة من القتل والخراب والتدمير

قال الشيخ:

كنت عند الحسن بن الهيثم...

هتف الشيخ سيد مخيمر إمام الجامع العتيق بالمفاجأة:

-ذلك المجنون...

قال مصابيح

حتى العالم الجليل ادعى الخبال قراراً بحياته!

ثم وهو يظهر التصعب

الجنون ادعاء الرجل حتى ينجو من أذى السلطان...

قال الشيخ إبراهيم جاد المولى:

أعرف أنه جاء المهمة ، ثم اعتذر باستحالة تنفيذها...

قال مصابيح

رضخ لأمر الحاكم فتولى بعض الدواوين رهبة لا رغبة فلما تبين له ميل الخليفة إلى إهراق الدماء بلا سبب، أو بأضعف سبب من خيال يتخيله لم يجد إلا إظهار الجنون والخيال

[1] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق - ص ٨٤

[2] السابق ص ٨٧

وشرد بنظرته في الفراغ . قيد الرجل وترك في موضع من المنزل الذي خصص لإقامته، وأحيط على موجوداته بيد الوزراء والكتبة...
ونطقت ملامحه بالتألم:
-حتى من جعل برسمه من يخدمه ويقوم بمصالحه ، امتدت أيديهم إلى موجودات الرجل!
وأردف في صوت مذبوح
-نحن نزوره سراً .. نقدم له ما يحفظ عليه حياته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله!
كر الشيخ الخيط من بداياته استعاد أسماء ابن عمار وبرجوان والنعمان ومؤامرات الوزراء وعمليات القتل . ما أهمله فلضعف الذاكرة ، أو إشفاقاً على الحضور ، ثم اتجه إليهم بنظرة متسائلة:
هل تصح إمامة هذا الرجل " [1]

وبهذا السؤال بدأ الانقلاب الحقيقي على الحاكم وفي مقابل ذلك زادت تصرفاته الغريبة من القتل والسجن والعزل وإصدار الأحكام والأوامر التي تؤكد خلل في عقله فجاء تجريمه للجرجير و الملوخية و الفقاع والترمس والسمك وحرم ذبح الأبقار السليمة ومنع سير الحمير في الشوارع ع تعدد زياراته للأديرة وارتدائه زي الرهبان .... ومن غريب تصرفات الحاكم في تلك الفترة ، أنه قبض على جميع أملاك زوجه وأمه وأخته وعماته وخواصه وجواريه وسائر أقطاعاتهن وأموالهن بمصر والقاهرة وكانت جملة عظيمة (سنة ٣٩٩ هـ)، ولم تفهم حكمة هذا التصرف أو بواعثه، بيد أنها كانت فيما يظهر ثورة مؤقتة، وقد عاد فرد الأمور إلى نصابها فيما بعد " [2]والكثير من الأفعال العجيبة التي حاول محمد جبريل خلال السرد وضع مبرر لكل تصرف أو تحريم وضعه وعلى كل حال فما سعى إليه الشيخ مصابيح لم يكتمل بهذا الشكل فقد دس الخليفة في مجلسه من ينقل عليه كل كلامه وتحريضه حتى استدعاه للاستجواب يوما وقيل أن اتباعه من قتلوا الحاكم قبل أن يهم بقتل الشيخ

فهد بن إبراهيم

"كان فهد إبراهيم قد أفلح في تنظيم الدواوين أشرف بنفسه على جميع وجوه الأموال والحسبة والسواحل والأعشار والجوالى والأحباس والمواريث والشرطتين، واستحدث وسائل غير مسبوقة في تحصيل الضرائب والمكوس وجمع الخراج لم يكن يرتشي، أو يرتزق، أو يقبل الهدايا، أو ينفق ديناراً من أموال الخلافة في غير موضعه

كان مجاملاً لا يتقاعس عن أداء واجب، ولا إغاثة ملهوف، ويشارك في الأعراس والعزاء وحفلات الختان وسبوع المولود وعودة الحجاج لم يكن يشعر مع موظفيه بالكلفة، ويخالطهم كانه واحد منهم، وأنعم عليهم وكبره ، وعظمهم، وأعطاهم وكان يقصد - في بعض الأوقات - بيت أحد خدمه، ليهنئه بمولود جديد، أو حنان، وكانت هداياه إلى الجميع موصولة وإن اكتفى - في مناسبات الوفاة - بواجب العزاء لم تتحدث الهمسات عن ميله إلى اقتناء الجواري والعبيد ، وعرف عنه التعفف عن أموال الناس . والتورع عن قبول الهدية لأن ذلك رشوة... انزله الناس من نفوسهم منزلة كبرى... " [3]كعادة جبريل في النص فهو يتكئ على الوصف لكل شخصية حتى يبرز علاقتها بالحاكم وتطورها وما آلت غليه الذي هو في الغالب المصير نفسه بالعزل أو القتل أو كلاهما

---

[1] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق - ص ٢١٩
[2] تاريخ الأنطاكي ١٩٥
[3] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق - ص ١٠١

مجتمعين فيبدو من الوصف أن فهد بن إبراهيم كان سمحا يحبه الناس لتواضعه وبساطته فما الذي ينهي حياته بالقتل مثل سابقيه؟ والكاتب في سرد كل قصصه إنما يورد السبب حتى فيما شككت فيه كتب التاريخ، فكان السر وراء التخلص من فهد بن إبراهيم الوشاية فقد " ظل فهد في منصبه ست سنوات، ثلاث منها في خدمة برجوان، ثم قتل الإمام فهداً ثم قتل من حل محله بعد تسعة وعشرين يوماً قال الرواة إن باب الحضرة أنصت إلى وشاية أبي الحسن بن العداس ، فأمر بضرب عنق فهد بن إبراهيم، وأحل ابن العداس محله... " [1]

ابن الهيثم

توظيف شخصية ابن الهيثم في الرواية يؤكد لنا ملامح شخصية الحاكم بأمر الله ويثبت ما تناقلته عنه حكايات التاريخ فقد كان سببا في ادعاء العالم الأشهر ابن الهيثم للجنون خوفًا منه ومن بطشه وكي يستطيع أن يهرب من جنونه "والحق أن الحسن تعهد للحاكم بأمر الله بأن يعدل فيضان النيل الذي كان أساس خصب البلاد المصرية" [2]وكانت بداية تلك القصة حين " نقل إلى أمير المؤمنين قول ابن الهيثم : " لو كنت بمصر، لعملت في نيلها عملاً يحصل به على النفع، في كل حالة من حالاته، من زيادة ونقص فقد بلغني أنه ينحدر من موضع عال ، وهو في طرف الإقليم المصري .. "سير إليه الإمام - سراً - جملة من مال ، وأرغبه في القدوم إلى مصر... أتى ابن الهيثم إلى القاهرة ومعه كتاب فيه حيلة إجراء نيل مصر نقصانه في المزارع وفكرة بناء سد على النيل اختار له موقعا في أسوان " [3]فارسل الحاكم في طلبه وبالغ في حسن استقباله وضيافته وجهز له من يعاونه من العمال أعد العدة كي يتم مشروع ابن الهيثم، لكن حسابات ابن الهيثم لم تفلح وما تأمل في تنفيذه لم يكن سهلا بل مستحيلا

قال الإمام:

-كيف رأيت أسوان ؟ وهو يظهر الاحترام الزائد:

تحيا باطمئنان في ظل رعاية مولاي أمير المؤمنين...

أشاح الإمام بيده في عدم اكتراث

-لا أسألك عن أحوال البلد .. إنما أسألك عن الموضع الذي أرسلناك إليه.. هل يتفق مع الفكرة التي دعوت إليها ؟

وهو يمسد لحيته القصيرة

أخشى أن ما خطر لي يصعب تنفيذه...

غرز في وجهه عينين متشككتين:

-لماذا ؟

ظل ابن الهيثم صامتاً . خشى لو تكلم أن يخطئ...

أعاد أمير المؤمنين السؤال:

-لماذا ؟

قال ابن الهيثم

أسباب في طبيعة المنطقة تجعل التنفيذ متعذراً...

أغمض الإمام عينيه ليستوعب معنى الكلمات:

هل تغيب هذه الأسباب عن فهمنا ؟

---

[1] السابق - ص ١٠٣

[2] كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، طبعة بيروتية، بدون تاريخ ، ١٠٤/٢

[3] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق - ص ٨٩

غالب ابن الهيثم شعوراً بالعجز
إنما هي اختلاف بين ما خطر لي ، وما رأيته من الظروف الطبيعية...
أردف في لهجة مهونة
إرادة الله أن يصير أمر النيل إلى النهر نفسه من زيادة ونقصان" [1]
وقد اعتمد الكاتب على أداتين مهمتين هما الحوار والسرد الزمني لتوظيف شخصياته وإبراز الحدث.

الحوار في النص

اعتمد جبريل على سرد الحوار الذي يؤكد سمات الشخصية عبر حقائق تاريخية وأقوال تناص معها الكاتب ليؤكد معلوماته التاريخية التي يوثقها عبر السرد، والذي من خلاله نرى أن جبريل لديه نظرة تقليدية لتصنيف الشخصيات بين الخير المطلق أ والشر المطلق، عرضها بالوصف والتحليل فقط مما أفقدها دورها في تطور السرد فهو فقط يستعرض الشخصية دون أن يعطيها أبعادا إنسانية فلا يحلل أو يعلق حول مبررات ما قامت به الشخصية أو دون أية ركائز نفسية تزيد التشويق والإثارة داخل النص وهذا ما جعل مشاعر الشخصيات التي استدعاها ووظفها في النص تكاد تكون واحدة من حيث الحب والكره والحقد والقلق ... إلخ.

فكل ردود الفعل متشابهة وربما يبرر ذلك ما حاول الكاتب أن يسلط عليه الضوء من حيث شخصية الحاكم نفسه والتي دفعت الشخصيات حوله إلى نسج خطط متشابهة وإعطاء ردود أفعال كذلك متشابهة، فالقصص التي نسجها الكاتب حول شخصيات النص تكاد تكون واحدة، وقصص الانتهاء و التخلص بالقتل واحدة.

بنية السرد الزمني

لم يعمد جبريل إلى الزمن التقليدي التصاعدي في خط مستقيم الذي يجعل الزمن يسير في خط واحد في الأغلب بل لجأ إلى أنماط أخرى أهمها الاسترجاع الذي يعرض من خلاله الأحداث التي أثرت في شخصية الحاكم منذ الصغر و نراه يتعمق في ذلك فلا يكتفى بالسرد الزمني التقليدي إلا في تسلسل الأحداث الكبيرة التي أثرت في تطور الشخصيات ولذلك كان البعد الزماني تاريخيا حسب تسلسل الأحداث في المراجع التاريخية وإن خالف هنا طبيعة الفن الروائي الذي يميزه الخيال فلا شك أن الرواية لن تكون مرجعا تاريخيا مهما سعى الكاتب لذلك من حيث دقة التوثيق وسرده للأحداث بشكل حقيقي.

ومن ثم رأينا كيف كان توظيف الشخصيات التاريخية عبر الوصف والتناص أداة سحرية لاستعراض تلك الفترة التاريخية والأحداث المهمة التي حملتها من وجهة نظر رواة الأخبار

الخاتمة

حاول البحث خلال رحلته الكشف عن آلية توظيف الشخصيات في الرواية التاريخية من خلال استقراء رواية ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله للروائي المصري محمد جبريل، وكيف ارتبط الكتاب العرب مع التراث، وتأثرهم به في النصوص الأدبية المختلفة، ثم ما لبثوا أن اتخذوا من مواد التراث منطلقا وأداة للوصول إلى أدب عربي خالص من حيث الشكل والمضمون، حيث كان توظيف التراث هو الوسيلة المثلى لتحقيق خصوصية النثر العربي الحديث، على صعيد الرواية والقصة والمسرح، وعبر شخصيات التاريخ استطاعت الرواية

[1] محمد جبريل – ما ذكره رواة الأخبار عن سيرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله – مصدر سابق - ص ٩٢

التاريخية أن تبني هيكلا مميزا أجاد الروائيون فيه عبر التخيل والوصف، ومن خلال الرواية محل الدراسة بالبحث وصلت إلى عدة نتائج من أهمها:

- اعتمد محمد جبريل في الرواية بشكل رئيس على ما نقله الرواة من أحداث تلك الحقبة، حتّى تغلّب التأريخ على السرد الروائي في الرواية.
- كان اشتغال الوصف واسعا في الرواية، حيث استغرق الشكل السردي.
- الرواية التاريخية تقع بين التاريخ والأدب، ولهذا عليها أن تسرد الأحداث بمزيد من التخيل والعاطفة، دون الوقوع في السرد التاريخي البحت، وهذا ما لم يوفق فيه محمد جبريل.
- استطاع الكاتب من خلال الرواية أن يقدم صورة عن مرحلة من أهم مراحل الحكم في مصر مستثمرا التاريخ في توظيف الشخصيات.
- اعتمد استحضار التاريخ عبر شخصيات تمثل شخصية المجتمع وتعبر عن الذاكرة الجماعية.
- اعتماد السرد في أغلبه على البداية بجملة " قال الرواة."
- استدعاء الشخصيات التاريخية في الرواية أدى إلى توليد دلالات نفسية عبر رموز وأقنعة أثرت الوصف.
- جاء استدعاء الشخصيات التاريخية في الرواية ليلبي أهدافًا سياسية واجتماعية مختلفة.